الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت

معهد الآداب واللغات

قسم نقد حديث ومعاصر

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر الموسومة ب:

دراسة كتاب

الجمالية في الفكر العربي

ل: عبد القادر فيدوح

إعداد الطالبة :

- بوليفة صبرين

تحت اشراف الأستاذة:

- بوركبة بختة

لجنة المناقشة

د/	رئيسا
د/ بوركبة بختة	مشرفا ومقررا
د/	عضوا مناقشا

الموسم الجامعي : 2019/2018

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت

معهد الآداب واللغات

الموسم الجامعي : 2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر...

قال الله تعالى :

{فاذكروني أذكركم و اشكروا لي و لا تكفرون}

فالحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل

و عملا بقول رسول الله ﷺ :

[من لم يشكر الناس لم يشكر الله]

الشكر الله أولا وأخيرا نحمده حمدا كثيرا على توقيعه لنا في إتمام هذا العمل المتواضع وعلى التعم التي أنعمها علينا.

نتقدم بالشكر والامتنان وفائق التقدير والإحترام للأستاذة المشرفة «بوركبة بختة» نعتز بأن تكون من بين جماعة الطلاب الذين أطرتهم وأمدتهم بتوجيهاتها القيمة كما لا يفوتنا بهذه المناسبة أن نتقدم بالثناء الجزيل إلى كل أساتذة الآداب واللغات بالمركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت وخاصة القائمين على إدارة المعهد وإلى كافة عمال المكتبة الجامعية على مساعدتهم لنا.

وفي الأخير لا ننسى أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع.

إهداء ...

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما...

إلى إخوتي وجميع أفراد عائلتي...

إلى كافة الأهل والأقارب...

إلى الأصدقاء والأحباب

إلى هؤلاء جميعا أهدي حصاد جهدي وثمرة عملي.

صبرين

الجمال من الأمور المهمة للإنسان يسعى دوما لإبرازه في شتى المجالات، وحتى يرضي كيانه يعمل جاهدا لتحقيق ذلك بطرق عديدة، تعكس حبه لكل ما هو جميل فنجده ضرب له علما كاملا، اختص فيه كل جماليات ماضيه وحاضره، بدأ من رسمه على الكهوف والصخور، وتلوين ملابسه وأوانيه وارتدائه الحلي، وسهراته يغني ويرقص وصولا لنظريات وآراء فلسفية ل:

وغيرهم ممن كانت لهم رؤية ثاقبة في جماليات الكون البديع، الذي حمل الجمال بمعناه الظاهر والباطن، وفتن كل متأمل وسحر كل العيون، فدفع بالشعراء والكتاب والمفكرون والباحثون للحديث عنه وفك شفراته، ومن ينظم الكاتب والناقد الجزائري الدكتور **"عبد القادر فيدوح"** الذي قدم كتابا معنونا ب: **(الجمالية في الفكر العربي)** هذه الوثيقة التي اخترناها للدراسة نظر لأهمية المادة المعرفية التي احتواها، مع تميز موضوعه وكاتبه فهو من النقاد المحدثين الذين حاولوا تأصيل الفكر العربي، فدفع عن القصيدة العربية تهمة أسالت حبر الكثير من النقاد، فحواها أنها تفتقر إلى الوحدة وخالية من الخيال والإبداع، كما تطرق إلى رؤية الإسلام للجمال والسبب وراء النهي عن التصوير، كما يجدر الإشارة إلى أن هذا العمل يعد المؤلف الأول المقدم بهذا العنوان، حيث يوجد نسخة ثانية معنونة ب: "**التجربة الجمالية في الفكر العربي**" وهي نفس الكتاب به فصل إضافي.

لقد جاء الكتاب ردا على أسئلة تقدم بها طلبة الدراسات العليا يقسم اللغة العربية، بجامعة وهران أهمها:

- هل بالإمكان تصور عمل فني قائم على الذوق الجمالي؟
- أي مشروع جمالي في متصور الخطاب العربي؟
- أين تكمن البنية المعرفية في دراساتنا النقدية القديمة من الدراسات الجمالية؟
- ما إسهامات الوعي العربي القديم في رؤيته للتفكير الجمالي؟

لابد لأي بحث أو دراسة أن تبنى وفق خطة منظمة لتحقق نتائج مقبولة وفي هذه الدراسة اتبعنا الخطة التالية:

1. **مدخل**: «تناولنا فيه التعريف يصاحب الكتاب ومؤلفاته كما شرحنا الكلمات المفتاحية وذكرنا مجموعة من التعريفات».

2. **الفصل الأول**: **دراسة فصول الكتاب** «جاءت الدراسة وفق ترتيب فصول الكتاب وجمعتا بين الترخيص والشرح والمقارنة مع جاء في مؤلفات أخرى تناولت نفس الموضوع».

3. **الفصل الثاني**: **نقد ومقارنة**«هذا الفصل عبارة عن مقارنته بين ما جاء في كتاب "الجمالية في الفكر العربي" لعبد القادر فيدوح وما جاء في كتاب "الخيال الشعري عند العرب" لأبو قاسم الثاني وهذا نضرا للإخلاف القائم بينهما وكشف التناقض بين الكتابين وإبراز أهم الآراء النقدية بين الطرفين»

4. **خاتمة**: «أجبنا فيها عن الإشكالية المطروحة ووضعنا بها بعض النقاط كنتائج للبحث»

اعتمدنا في عملنا هذا على المنهج التحليلي والمقارن الذي يعد من أنسب المناهج لمثل هذا النوع من الدراسة ولابد من الإشارة إلى الصعوبات التي واجهتنا أهما قلة المصادر والمراجع التي تتحدث بالخصوص عن النقاد المحدثين أمثال الدكتور "**عبد القادر فيدوح**" وكذالك النقد الموجه لمؤلفاته وأيضا أسلوب الكاتب السهل الممتنع مع اعتماده على أقوال وأراء كتاب آخرون أكثر من أقواله وهذه الأخيرة يتخللها الغموض مع تقليص للمعلومات حتى أننا نجد معظم صفحات الكتاب هي اقتباسات مع وجود خلل في الموازنة بين الفصول وأيضا الإشارة إلى ضيق الوقت وفي الأخير نقدم الشكر لجميع الأساتذة الكرام للمعهد أدب واللغات المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي بولاية تيسمسيلت.

شكرا

تمهيد:

يتفاوت الإحساس بالجمال من إنسان لآخر ويرجع ذلك للذوق والإدراك والخبرة، ويعتمد على العواطف أكثر باعتبارها منبع الشعور بكل ما هو جميل، وبما أن الجمال يسيطر على فكر الإنسان ويحتل أولوياته، خصص له مكانة مرموقة بين أبحاثه وعلومه، فهتم بالفن كونه مرآة تعكس الجمال وكثيرا ما يعد توأما للجمال لشدة ارتباطهما، وكما قلنا سابقا درجة تأثير الجمال ليست ثابتة وإنما هي متفاوتة ومتغيرة هذا ما يجعل الفنان يتميز عن غيره، فرؤيته الخاصة تدفعه لإنتاج أعمال فنية جد رائعة، منها "**الشعر**" الذي كان ولا يزال بمثابة قالب يحمل الجمال يعينه، من خلال قصائد تسبح في بحر من الخيال.

1ـ تعريف الجمال:

لقد تطرق الباحثون والمفكرون على الصعيدين اللغوي والاصطلاحي لمفهوم (الجمال) منها ما جاء في لسان العرب: «الجمال بالقيم والتشديد أجمل من الجميل، وجمله أي زينه والتجمل تكلف الجميل والجميل أي زينته، والتجمل تكلف الجميل والجميل المليح البهي الحسن الذي يسر حسن النظر إليه ونقول ناقة جملاء: أي ناقة حسناء»

في حين جاء في[1]"أساس البلاغة" للزمخشري في مادة (ج م ل): «فلان يعامل الناس بالجميل، وهو جامل صاحبه مجاملة وعليك بالمبادرة والمجاملة مع الناس، تقول إذ لم يجملك مالك لم يجد عليك جمالك، وأجمل في الطلب إن لم يحرص أصبت بنائية فتجمل أي تعبر وجمل الشحم: أذاية وإجتمل والتجمل أكل الجميل وهو الودك، وقالت الأعرابية لإبنتها: تجملي وتعففي أي كلي الجميل، وإشربي العفافة أي بقية اللبن الموجود في الضرع، واستجمل البعير: صار جميل وناقة جمالية في خلق الجمل ورجل جمالي: عظيم الخلق ضخم[2]».

أما معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة فقد جاء فيه أن الجمالية«نزعة مثالية تبحث في الخلفيات التشكيلية للنتاج الأبي والفني، تختزل جميع عناصر العمل في الجمالية، كما أنها ترمي

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ج3، ص202.

(2) الزمخشري، أساس البلاغة، معجم في اللغة العربية والبلاغة، مكتبة اللبنانية، الطبعة الأولى، 1996، ص63.

للإهتمام بالمقاييس الجمالية بعض النظر عن الجوانب الأخلاقية، إنطلاقا من مقولة الفن للفن فلكل عنصر جمالياته إذ لم توجد جمالية مطلقة بل جمالية نسبية تساهم فيها الأجيال والحضارات الإبداعية الأدبية والفنية، ولعل شروطه كل إبداعية هو بلوغ الجمالية إلى إحساس المعاصرين»[1].

ومن جهة أخرى يعرف أفلاطون الجمال في "**محاور هيباس الأكبر**" على لسان سقراط بقوله: «إن الجمال ليس صفة خاصة بمئة أو ألف شئ، فلاشك في أن الجياد والملابس والعذراء والغيتارة كلها أشياء جملية غير أنه يوجد فوقها جميعا الجمال نفسه»[2].

2 ـ تاريخ الجمال:

لدراسة أي موضوع يجب أن نتطرق لتاريخه فلا «ريب أن الفترة اليونانية تعتبر بداية فعلية للفلسفة الجمالية، من حيث هي نمطه من التفكير إنصب على الضاهرة الفنية، قصد إدراك حقيقتها وماهيتها ومعرفة المعايير والقوانين التي تحكمها، وما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق أن الفلاسفة اليونانيون قد بحثو في القضايا الجمالية التي كانت تؤطر هذه الرؤية»[3] يوحي لنا هذا عن بديات اهتمام الإنسان بالجمال من زواية جديدة بعيدة عن الاستمتاع به فقط، وإنما كعلم قائم بذاته ومنه يتبين لنا أن الولاة الحقيقية لعلم الجمال، تمت على يد اليونانيين وكسائر الحضارات طرحت معارفها على باقي الأمم منها العالم الإسلامي، حيث «بنظر المسلمون إلى لتذوق الجنالي بإدراك ذهني واعي يكشف عن الجمال المدمون وعذريته وأصالة تركيبة، ويربطون جميع أنواع الجمال بالجمال الإلهي وتشارك فيه وترتبط به لأن الله جميل يحب الجمال إلا أن هذه النظرة الجمالية إذ ارتبطت بنوع من الفتنة أو "الشرك"، فإن هذا يعد حرام بنظر بعض الفقهاء في الدين»[4] وهذا يفتح باب التصوف الذي اختص بالرؤية الجمالية للإسلام، وفتح مواضيع جديدة دفعت بالعلماء والفقهاء والصوفيون

(1) سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب، اللبنانية بيروت، المغرب، ط1، 1985، ص62.

(2) هالة محجوب خضرة، علم الجمال وقضياه، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2006، ص13.

(3) كمال بوسنير، قضيا الجمالية أصولها القديمة إلى دكالتها المعاصرة، منتدى المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2013، ص17.

(4) إياد مُحَمَّد صقر، معنى الفن، ص119.

على وجه الخصوص إلى نزول حلبة الصراع الأدبي، وتقديم أراء ضمنية أو تصريحية ويعود ذلك لدرجة خطر الوقوع في الفتنة وتعارضهم مع الدين الحنيف، وسبب وراء هذا هو نزاوج الفلسفة بالدين.

هذا التطور الملحوظ في الرؤية الجمالية أنتج ذخائر نقدية، تقاذفها النقاد في ما بينهم، فهناك من خلع ثوب الجمال على الفكر العربي وأبرز عيوبه فقط لأنه متأثر بالغرب ويرى فيهم الكمال، وآخرون أخذتهم العزة بعروبتهم وسيطرت عليهم روح الإنتماء فدافعوا بكل ماآوتوا من قوة على هذا الإرث، من بينهم الدكتور "عبد القادر فيدوح" الناقد الجزائري من الجيل الثاني بعد الاستقلال «**تلقى تعليمه الأول في مدينة وهران وانتسب إلى سلك التعليم الإبتدائي والإعدادي بوصفه مدرسا منذ 1997 ثم استأنف الدراسة إلى أن تخرج من جامعة وهران بإجازة علمية هي "ليسانس في الأداب" 1980 والتحق مباشرة بعدئذ بقسم الدراسات العليا فنال شهادة الماجستر في الأدب القديم 1984 وسميا معيدا في الجامعة للتدريس مقررات هذه المادة وقد واصل تحصيله العالي فنال الدكتوراه من جمهورية مصر العربية في النقد العربي الحديث 1990 وعادةإلى جامعة وهران أسناذا محاضرا حتى سنة 1995 ثم التحق في سنة 1995 بجامعة البحرين حيث يشتغل الأن وضيفة أستاذ مساعد بكلية الآداب قسم لغة العربية**[1]» له بصمة خاصة في مجال العلمي حيث «**لشارك في بحوث في عدة ملتقيات وندوات دولية في مختلف المؤسسات والجامعات العربية كذلك أسهم في بحوث ودراسات نقدية وأدبية في مجلات ودوريات علمية تزيد على ثلاثين دراسة موزعة في مختلف المجلات العربية**»[2] له عدد من المؤلفات أهمها:

1. الاتجاه النفسي في النقد الشعري-سوريا 1962.
2. دلالة النص الأدبي – الجزائر – 1993.
3. الرؤيا والتأويل (دراسة في الشعر الجزائري)- الجزائر 1994.

(1) عبد القادر فيدوح الجمالية في الفكر العربي من منشورات إتحاد الكتاب العرب مكتبة الأسد دمشق سوريا 1999، ص07.

(2) المرجع نفسه، ص07.

4.شعرية القص – الجزائر 1996.

5.القيم الفكرية والجمالية في الشعر طرفه بن العبد – البحرين – 1998.

اختص الدكتور فيدوح هذا الكتاب الذي نحن بصدد دراسة بعنوان "الجمالية في الفكر العربي" من منشورات إتحاد الكتاب العرب مكتبة الأسد وهي طبعة أولى لسنة 1999 البلد المنشأ سوريا – دمشق عدد صفحاته هي ثمانية وتسعون صفحة 98 ذات 25 سم يتحدث فيه الناقد عن تجليات الرؤية الجمالية في الفكر العربي ويدافع عن القصيدة العربية القديمة بصفة خاصة فاعتمد أكثر من منهج حيث درس دراسة تاريخية تحليلية نقدية.

أولا:البنية الذهنية للجمالية العربية:

أ. أصل التفكير:

تطرق الكاتب **"عبد القادر فيدوح"** في كتابه المعنون ب: **"الجمالية في الفكر العربي"** إلى إشكالية مفادها أن «القصية العربية عبارة عن مجموعة أبيات مفردة، مجردة من الخيال خالية من أي مستوى فكري، لا شئ إلا لأنها تمثل بدائية الإنسان العربي في هذا العصر»[1]، ويقصد بهذا أن القصيدة العربية القديمة، هي مجرد إرهاصات وبديات لا تعبر عن الجمال، وخاصة أن الإنسان العربي في تلك الفترة والبيئة القاصية، لا يتمتع بمستوى فكري يسمح له بالإبداع والخيال، وبتالي ما يقدمه لا يعدوا إلا أن يكون مشاعر وعواطف سطحية فقط.

بعدما عرض الكاتب التهم الموجهة للقصيدة، انتقل للدفاع وذلك بتقديم مجموعة من الأدلة والبراهين منها:

1.صلة العرب بغيرهم من الأمم الأخرى وعلاقاتهم الخارجية:

يقر الكاتب بعلاقة سكان الجزيرة العربية بغيرهم من الأمم حيث يقول:«كانت الجزيرة على صلة متينة بالأمم الأخرى، وقد خضعت لعدة عوامل نتيجة لهذه الصلات»[2]، وفي نفس الوقت ينفي جل ما جاءت به الدراسات القديمة لتاريخ الجزيرة، والتي مفادها أن لهذه الأخيرة منعزلة عن العالم، وحجته في ذلك هي أن«كل ما حظيت به الجزيرة العربية من دراسات مفصلة لتاريخ العرب القديم، لا يتعدى القرن العاشر قبل الميلاد خاصة في مجال الاحتكاكات والعلاقات الخارجية مع غيرهم مثل العبرانيين والآشوريين والبابليين والفرس وعلاقاتهم أيضا مع الحضارات الغربية»[3] بين لنا في هذا القول دور الدراسات التاريخية، في تحديد وضبط العلاقات التي شهدتها الجزيرة، كما يؤكد مصطفى صادق

---

(1) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص17.

(2) المرجع نفسه، ص17.

(3) المرجع نفسه، ص17.

الرافعي قدم الحياة بهذا المكان فيقول:«لهم جيل من الناس تدلت عليهم الشمس منذ القديم في هذه الجزيرة، التي كانت قطعت انخرطت من السماء مع الإنسان الأول»[1].

ويؤكد عدد من كبار الكتاب والمؤرخين بمدى صحة هذه العلاقة فالعرب«من الشعوب السامية التي استوطنت جزيرة العرب وآسيا الصغرى، إلى الفرات وكان لهم صلة بالعبرانين والفنيقين والآراميين والسريان والبابلين والآشوريين وكلهم من أرومة واحدة جاءت مابين لغاتهم وقربت مابين تكوينهم العرب وتاريخ عريق إبتدأ حوالي القرن الأربعين حوالي الميلاد»[2]، ومنه يتضح لنا مدى عراقه وقدم سكان الجزيرة العربية، وبتالي لابد من تكوين صلة مع مجتمعات أخرى، وقد تحدث الكاتب عن عوامل وأوضاع هامة، تثبت هذه العلاقة التي أنكرها عدد كبير من النقاد.

2.الوضع السياسي:

ككل بقعة على وجه الأرض تتأثر بواقعها السياسي، ما يولد لها تاريخ يرسم معالمها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية...الخ لذا اهتم الكاتب بذكر بعض المحطات السياسية، التي شهدتها الجزيرة العربية، كتوثيق لأقواله ودعم لحججه، ومن بين هذه المحطات: "حملت الرومان" التي سعت لأمرين:

1. التحكم في مداخل البحر الأحمر
2. طمع أحد الأباطرة الرومان في ثروة المنطقة

3.الوضع الإقتصادي:

يعد الإقتصاد من أهم عوامل تطور الأمة، فهو مرآة عاكسة لمستواها الفكري، وقد ارتبط اقتصاد شبه الجزيرة ارتباطا شديدا بموقعها الإستراتيجي، فلقد «كانت مكة على وجه الخصوص قاعدة تنطلق منها العرب لتجارتهم وعلى تجارة مكة كان يعتمد الروم في كثير من شؤونهم، حتى فيما يترفون به»[3]، وهذا ما يوضح الأهمية التي يولها العرب للتجارة، ودور مكة في هذا النشاط.

(1) مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2012، ص30.

(2) حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل مؤسسة خليفة للطباعة، بيروت، لبنان، د س، ص71، ص72.

(3) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص18.

4.الوضع الثقافي:

عندما نتحدث عن الجزيرة العربية ونذكر مكة، فأول ما يتبادر إلى الذهن هو الحج والتجارة، وهما عاملان أساسيان في ثراءها، بشتى المجالات الفكرية الثقافية حتى اللغوية منها، وهذا بدليل استخدام كلمات أجنبية في اللغة العربية، حتى أننا نجدها في القرآن الكريم «ويقال بالإجمال أن العرب إقتبسوا من لغة الفرس أكثر مما اقتبسوا من سواها، ولذلك رأينا أئمة اللغة إذ أشكل عليهم أصل بعض الألفاظ الأعجمية، عدوها فارسية ومن أمثلة ما ذكره صاحب المزهر من الألفاظ الفارسية "الكوز، الجرة، الإبريق، الطشت..."»[1] وهذه الأمثلة تبين قوة امتزاج اللغة العربية بغيرها من لغات الوافدين إلى شبه الجزيرة، ما أحدث تطور بها وأضحت غنية بكلمات أعجمية دخيلة عن العرب.

5.الوضع الديني:

لطالما كان الوضع الديني للجزيرة العربية في تطور مستمر، فلقد عرفوا سكانها بوثنيتهم التي انتقلت من تعظيم حجر الكعبة إلى عبادة الأصنام وصولا إلى تقديس الظواهر الطبيعية، ويظهر هذا نوع العقلية العربية الموسومة بذكاء والفطنة، فتأثر العرب بالشعوب الأجنبية خاصة في الجانب الديني، أي إلى ظهور معتقدات جديدة ومن الديانات الأكثر تأثير هي «اليهودية والنصرانية» اللتان تحدث عنهما الكاتب، ذاكرا الأسباب والعوامل التي منعت انتشارهما وتوسعهما بشكل كبير داخل الجزيرة.

هذه الأوضاع التي مرت بها الذهنية العربية ولدت لديها نوع من الحكمة، التي ظهرت على شكل فن من فنونهم، ولناقدنا قول في ذلك :«يمكن اعتبار "الحكمة" لأية أمة من الأمم على أنها بداية التفكير الفلسفي، وذلك ما وصلت إليه العرب فيما قبل الإسلام من مظاهر حياتهم العقلية»[2] ينتج عن ذلك

(1) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة، ت مصطفى سواق، ج1، موقع للنشر 1993، ص61–ص62.

(2) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص27.

فكرة جوهرية مفادها أن، هذا العربي المتهم بضعف الخيال وجمود العواطف وعدم ارتقائها لمستوى الفكر، يزخر بمقومات تاريخية، دينية، ثقافية...الخ شكلت له فلسفة خاصة به، فمروره جميع هذه المراحل إن دل فلا يدل إلا على ثراء فكره، الذي مزج بين معارف حضارات وديانات وآداب مختلفة، وبرغم من كل هذا تبقى بض الجوانب ترى بأن العرب، «بحكم بيئتهم الطبيعية والاجتماعية التي كانوا يعيشونها، لم يتمكنوا من التفاعل مع الأمم الأخرى بشكل واسع فعال، فتفاعل الإيجابي بين المجتمعات يتم في جملة من الشروط، منها تقارب العقليات ومستوى الحضارات»[1]أي أن العرب كان لهم تفاعل مع الأمم الأخرى، لكنه ليس بتلك القوة التي تولد علاقات بين الحضارات.

ب.الجمالية المدركة

في كثير من الأحيان نجد اختلاف وتنوع في تعريف مفهوم أو مصطلح ما، خاصة لو كان هذا الأخير مفتوح وشمال يمس جميع الأصعدة الفكرية، ويتغير باستمرار عبر الزمن مثل "الفن" ولكن رغم هذا التعدد إلا أنه لا يختلف اثنان في كون الفن«خبرة إنسانية، ومبدأ من مبادئ قيم الحياة في انسجامها الداخلي، وتوافقها الجمالي وذلك من خلال إنعاس الإدراك الحسي، بتذوقنا للمؤثرات الجمالية في هذه الحياة التي تتظاهر للفنان على أنها أسمى من تصورها الطبيعي الظاهري، من حيث كونها تلتقي بعاطفته النبيلة، وإرادته الطموح وعقله المميز لقيمة الشعور بالجمال، وفي تجسيد ماهية الجميل وتميزه عن غير الجميل»[2]، من ذلك نستنتج أن الفنان يتذوق الجمال ويسموا به، ثم يعيد ترجمته بشكل فني جميل، فهو يتمتع بمقومات تساعده في إدراك الجمال، وتميزه وإعادة صياغته. ليظهر الجمال مرة ثانية، وهذا يدعونا للحديث عن الوصف باعتباره وسيلة يعتمدها ليظهر مواطن الجمال، فلطالما إحتل الوصف القصيدة العربية فهو«أساس الشعر الجاهلي والغالب عليه، حتى لايكاد يخلوا أي منه فالشاعر كان دائما يصف سواء حين يمدح أو يفتخر أو يرث أو يتحمس أو يبدي بآرائه الحكيمة»، ويظهر ذلك بشكل جلي في البادية والصيد والرحلة ووصف المرأة والتغزل بها، كقول زهير بن أبي سلمى في وصفه دمنة أم أوفى.

(1) أمين أحمد، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة 10، 1969، ص48.

(2) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص25، ص26.

«أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحوماته الدراج فالمتلثم

ودار لها بالرقيمتين كأنها مراجيع وشم في نواشر معضم

بها العين والأرام يمشن خلفة وأطلاؤه لها ينهضن من كل مجثم

وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأيا عرفت الدار بعد توهم

أثا في سفعا في مغرس مرجل ونؤيا كجذم الحوض لم يتلثم»[1]

الوصف شئ ضروري في أي عمل فني خاصة الشعر، فهو «شرح حال الشئ وهيئته على ماهو عليه في الواقع لإحضاره في ذهن السامع كأنه يراه ويشعر به»، أي أنه مرآة يستعملها الفنان يبرز الجمال و«الواقع أن العرب كانوا على حق، حينما وجدوا المرأة أكثر المخلوقات في الكون جمالا وسحرا»[2]، وهذا متفق عليه لدى جميع الأمم.

لم يقتصر الوصف على الأشياء الملموسة فقط، وإنما يتعدى ذلك ليصل إلى المعنوية (كالجمال عند زهير خصوصا جمال السلم، وعن حاتم جمال الكرم والشجاعة والبطولة في شعر عنترة، وجمال التضحية عند الخنساء)

بعدما قدم الناقد كل شخصية بما ميزها من وصف، أعطى أبيات كتوضيح واستشهاد لإيصال فكرة واحدة، وهي أن العرب قديما كان لهم رؤية جمالية.

ج. جمالية اللاوعي:

ينبع الشعور بالجمال من العواطف كدرجة أولى، ثم ينتقل إلى باقي الحواس هذا ما يعطيه طابع رؤئي، بعيد كل البعد عن الواقع والعقل، وهذا ما يميز القصيدة العربية القديمة، حيث تعد«عجيبة البناء تولد عند الشاعر تبعا لأحواله النفسية، وأحوال زمانه ومكانه وكثير ما تظهر قسما بعد قسما، أو قد يكونوا الرواة حفظوها أقسما أقسما يحتفظ كل واحد منهم بأحد تلك الأقسام، وهي من ثما تبدوا لنا بعد ما جمعتا أجزاءها أبياتا متتابعة تجري على سنن معلوم، في الترتيب وفي

(1) زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرح حسن فاغور، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ص16-18.

(2) حسن شعيب، العرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2004، ص102.

مجموعة الأفكار وطريقة التعبير والتصوير والتشبيه»[1]، فالشاعر العربي القديم يدرك الجمال في لحظته، أي إدراك أني فيخرج الشعر قسما بعد قسما، ثم يعود ويعطي لما احتمالا آخر، وهو أن الرواة حفظوه بهذا الشكل إلى أن وصلنا قصائد.

يشرح لنا صاحب الكتاب المراحل التي مرت بها القصيدة حتى وصلت إلى هذا النوع من التكامل، فالشاعر حريص كل الحرص على إظهار جمال تناسق أبياتها، من بين هذه المراحل ما يلي:

«1 النظم كأن يأتي قسيم بعد قسيم مثلا:

إذا كنت في قوة قابلنا في إنائهم

إذ أدبر الدهر عن قوم كفى عدوهم

2 تطور النظم إلى خطى أخرى وصل إلى مرحلة السجع والازدواج مثلا:

أنت تثق وأنا مثق فمتى نتفق

3 ظهور ثلاثة تقسيمات أو تقطيعات مثلا

إنه يحمي الحقيقة وبنسل الوديقة ويسوق الوسيقة

4 يكمل الوزن للوصول إلى قيسم يساوي القيسم الآخر من وجهة العروض:

يشهد النادي

يجوب الأودية

يحمل اللواء»[2].

يعد ذكر المراحل نستطيع أن نستنتج مدى براعة الشاعر في تقويم إبداعه، وتمكنه من دمج روحه المدركة للجمال وعقله الراسم والمنتح لهذا الجمال.

تحدث "عبد القادر فيدوح" عن شخصية الإنسان العربي المتميز بالخشونة، والتباهي بالنفس أولا ثم القبيلة ثانيا، وأسقط هذا الرأي على القصيدة، فالعربي لا يقول أمدح قصيدة أو أفخر قصيدة وإنما يقول أمدح بيت وأفخر بيت، وكأن البيت يمثل شخصيته المتميزة والقصيدة تمثل القبيلة، ثم صرح أن

---

(1) حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص137.

(2) بنظر: عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص31-32.

القصيدة تحمل عدد من المواضيع في حين أن الشعراء الصعاليك امتازوا بوحدة البيت والقصيدة، ويرجع ذلك لعدم إنتمائهم لقبيلة معينة، فنستنتج أن البنية التركيبية جاءت تعبير عن واقع الإنسان العربي القديم، «وقد يظهر للبعض أن الشعراء الصعاليك تناولوا في شعرهم طائفة متعددة من الأغراض، لكنها في الحقيقة على عكس ذلك..أي أنهم لم يلتزموا أبنية القصيدة أو تعدد الأغراض بل كان شعرهم عادة يدور حول موضوع واحد، حتى في بعض القصائد الطويلة»[1]

- **بنية البيت:**

تتميز القصيدة العربية القديمة عن باقي قصائد الأمم الأخرى شكلا ومضمونا، ولو تأملنا بنية البيت لوجدناها ذات نمط تركيبي خاص، يعكس رؤية الإنسان القديم لعالمه الخارجي، وهذا الأخير يتكون من ازدواجية لجميع المخلوقات، «وهكذا مع بقية العناصر الأخرى التي كان يراها في حياته التي تتحكم فيها قوانين الثنائية المطلقة، سواء في عبادته كالشمس والقمر مثلا أو في نظرته لصورة الواقع من نور وظلام أو ذكر وأنثى أو لنظرته من خلال الطبيعة مثلا كالجر والبرد...»[2] ويقصد بهذا تأثر العربي بالمفارقات الطبيعة التي أكسبته نظرة ثنائية لكل ما يحيط به، فوجد نفسه سواء بوعي أو بدون وعي قسم القصيدة إلى شطرين (أ- ب) كما اتبع نفس المنهج «في النثر (من خطبة ومثل وحكمه) الذي احتوى هو الآخر على نظام الازدواجية في التركيب تمثل في السجع خاصة» ومنه نستنتج أن إبداع الإنسان العربي الجاهلي «شعر ونثر وحكمه»[3] مبني وفق نظام جمالي خاص ومنظور طبيعي تام، ميزه نسق وانسجام تميل غليه النفس من خلال قافية متجانسة الروي.

- **تسمية البيت:**

المعروف عن العرب قديم القدماء أنهم أهل خيم، وهذا راجع إلى كثرة ترحالهم من مكان إلى آخر بحثا عن الكلأ والماء، ومن الطبيعي أن يتأثروا بهذه الحياة من جميع النواحي الاجتماعية والفكرية، حيث نلاحظ من خلال بناء القصيدة العربية القديمة مدى انعكاس هذه الحياة:

---

(1) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص37.

(2) المرجع نفسه، ص38.

(3) المرجع نفسه، ص38.

يوضح الكاتب وبصورة جد مبسطة، قدرة الشاعر الجاهلي في نقل صورة محيطه، بتفاصيلها الصغيرة والكبيرة وإعادة بناءها في عمل فني، «فكما أن البيت من أبنية أدوات تتحكم فيه من أعمدة وحبال وأوتاد كذلك الأمر بالنسبة للبيت من الشعر قوانين تتحكم فيه من وحدة البيت وتقسيمه إلى شطرين، واعتماده إيقاع معين وقافية واحدة، هذا من حيث الشكل...أما من ناحية المضمون فكما أن البيت من أبنية معنى بوجود أهله وذويه كما يشكل صورة شعرية تحمل فكرة معينة وإلا كان ذلك نشارا ونقارا، تنفر منه الأسماع ولا تتذوقه كما تنفر الناس من البين المبني الخالي من أهله ولا تستسيغه»[1]، ومنه ندرك مدى تطابق شكل بيت الشعر من البيت الذي يعيش فيه العربي هذا من الناحية الهندسية "شكل" وكذلك توافق بنية البيت الشعري وأهل البيت من الناحية "مضمون" وهذا بتوفر «بلاغة للفظ سهولة مخارج الحروف، قوة التشبيه..الخ»

فالبيت الموجود به أهله يفعم بالحيوية وتكنسيه الهيبة، وإن كان خالي تنفر منه الناس «ومجمل القول إنه إذ كان للإنسان العربي القديم انتماؤه الذي يميزه عن غيره من الأمم الأخرى، فكذلك للقصيدة العربية رؤية جمالية معينة جاءت تعبيرا عن حياته في هذا العصر من غير شعور منه»[2]، وأي أن الشاعر العربي جسد رؤيته للجمال في القصيدة التي تميزت بتميزه.

ثانيا:البحث العقلي في الجمالية:

1ـ الحس الجمالي:

برغم الحياة القاسية التي عاشها الشاعر الجاهلي، إلا أنه تمتع بعواطف جياشة تثار كلما لمح الجمال، فقساوة الصحراء لم تمنعه من تصوير أحاسيس صادقة، ما جعل الشعر في الفترة الجاهلية يتصدر المرتبة الأولى في منظور الجمالية العربية، ويرجع ذلك للتغير الذي طرأ بعد مجيئ الإسلام، «ولعل عدم اهتمام العرب في لهذه الحقبة التاريخية بالوعي الجمالي يتجسد في عوامل كثيرة أفرزتها أوضاع المجتمع العربي الناشئ كما أفرزها الفهم المتجدد للشرع ومخاوف الفقهاء»[3]، ويقصد بهذا القول النقاط التالية:

(1) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص40.

(2) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص41، ص42.

(3) المرجع نفسه، ص43.

1.اعتبار الشعر الجاهلي النموذج الكامل وهذا لأنه يعتمد على الجانب الحسي.

2.تجاوز دستور الذين الإسلامي القرآن الكريم وتأثر الجمالية الإغريقية عوضا عنه، وهذا راجع إلى توافق الشعر الجاهلي مع النظرة الإغريقية عوضا عنه، وهذا راجع إلى توافق الشعر الجاهلي مع النظرة الإغريقية للجمال، وفي هذا اشتراك مع العنصر الأول ف«تمظهر الجمال في التناسب والترتيب وحسن الابتداء وحسن التخلص وجمال اللفظ، فصار إدراك الجميل والانفعال به إدراك حسي»[1].

3.دور النقاد والفقهاء والقضاة في تحريم كل ما هو فن ملموس خاصة النحت، فهم يرون في ذلك مشاركة للخالق في خلقه، ولكن الحقيقة الكامنة وراء تحريمهم هذا هي خوفهم من عودة عبادة الأوثان التي كانت منتشرة في الجاهلية.

رغم التعقيدات التي واجهة هذه الفئة من الفنانين، إلا أنهم أنتجوا أعمال إبداعية جد جميلة، في حدود عقيدتهم التوحيدية تمثلت في «التصوير على النسيج أو صفحات المخطوطات، أو مقابض السيوف وجدران القصور أو المساجد، وذلك على صور مصغرات تعد من أبرع الأعمال الفنية في مجال الفن الزخرفي»[2] وهذا يوضح مدى قدرتهم على صنع الجمال بشتى الطرق تحت مختلف الأوضاع.

2ـ جمالية القول:

يميل الإنسان للجمال لدرجة الإدمان، وهذا ما يلاحظ من خلال اختياراته لكل شئ يحيط به، مادي أو معنوي حتى اللفظي كجمال القول، ومن الأمم المشهورة بهذا الميول هي الأمة العربية، ويرجع ذلك لعدة أسباب منها تربح الشعر منذ القدم على عرش فنونهم، وهذا الأخير يعتمد على جمال القول وأيضا كون اللغة العربية من اللغات السامية، وما زاد قيمتها هو نزول أجمل قول بالغتها وهو "القرآن الكريم"، مع اهتمامهم الكبير بعلم البلاغة «اعتبار أن الفن اللغوي يكمن في البلاغة»[3]، ويقصد بهذا أن البلاغة تهدف إلى خلق لغوي العربي الذي يقول للتعبير عن وقت الظهيرة "قد انتعلت المطي ظلالها، لا يقصد التعبير عن أن وقت الظهيرة قد حان، بل يقصد خلق صورة

(1) المرجع نفسه، ص44.

(2) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص45.

(3) المرجع نفسه، ص46.

فنية، وهكذا يتضح أن اللغة لم تعد وسيلة للتعبير بل هي خلق فني في ذاته"[1]، ومنه يتجسد لنا الاهتمام الكبير الذي يوليه العرب لجمال القول، لا لإيصال رسالة فقط وإنما لنحتها في العقل والقلب معا، ونزول القرآن الكريم ليس إلا تحديا لهم فيما برعوا فيه.

كما تناول الكاتب في هذا الجانب من الدراسة، تعريف البلاغة عند مجموعة من الكتاب والمفكرين العرب، وشرح آرائهم حيث أصبحت الكلمة سلاح يدافع به المرء عن حقه، وطوق نجاة ينقذه من حبل المشنقة وباب رزق يكفيه قوته وأسهل طريق لقضاء حاجته...الخ.

من لهذا الباب نستطيع أن نفهم العقلية العربية التي كانت سائدة في تلك الحقبة الزمنية,وبما أن البلاغة تحمل في جعبتها عدد كبير من المواضيع,فنجد الكاتب يحاول الإحاطة بها من جميع نواحيها فسرعان ما انتقل إلى شرح ظاهرة الطبع والتكلف التي أسالت حبر كثير من النقاد والمفكرين,« ولعل في رأي المرزوقي ما يبهرن على اهتمامه بالطبع دون التكلف، وربما كان تمسكه بالطبع ناتج عن أمرين هامين: أولهما أن الطبع عنده صفة مائزة للتفريق بين الشعر الجيد والشعر الرديء,والثاني يركز على ما في الشعر من انسجام في تصوير الشيئ,بما يقع عليه حسه وإنما بما تفرضه عليه الأطر الجمالية الفطرية[2]، ويقصد بهذا أن الشاعر المتمكن من ترجمت الصورة المعبرة عنها بقول سلس جميل، بسرعة وسهولة تحتل قلب المتلقي هو شاعر جيد.

ثم وضح الآراء النقدية التي توصل إليها نقادنا القدماء، الدالة على امتلاكهم رؤية جمالية سواء بتصريح منهم أو بتلميح، مع وقوفهم الطويل عند تعرضهم للبلاغة، باعتبارها جانب جمالي يحقق غاية الإبداع معطيا بعض الأمثلة من أقوال الأصمعي، ابن عباس تعلب.

«إن التركيز على جمالية أداء التعبير عند نقادنا القدامى، والقائمة غالبا على مفهوم التناسب أو التناسق، كان بدافع وعيهم بأن ذلك يمد الصياغة اللفظية بالدفء والخصوبة، لكون القدرة الإبداعية هي القدرة على توفير هذا المفهوم التناسب»[3] ومنه مفهوم التناسب والتناسق يهدف إلى زرع الجمالية

(1) مُحمَّد مندور، في الأدب والنقد، نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، مصر، ص19.

(2) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص49 ص50.

(3) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي ، ص50 ص51.

داخل حقل الفني، الذي يحقق القدرة الإبداعية للشاعر، وإن لم يذكروا الجمال كمصطلح إلا أنهم قدموا أسس ومعايير تعد من القيم الجمالية.

تطرق الكاتب كذلك للجمال عند عبد القاهر الجرجاني، حيث قال:«الجمال عند عبد القاهر قائم على البنية العقلية، وفق معطيات وجوب جريان التفاضل في الكلام الفني بمختلف قيمة الجمالية، على مدار مقتضيات البديع من حيث كون حسن في النص قد يأتيه من وجهة اللفظ، وقد يأتيه من جهة النظم وقد يجمعها معا»[1] ويقصد بهذا أنه يمكن أن نجد كلام حسن اللفظ وليس حسن النظم أو العكس، كما يمكن أن يحسن من كلا الجهتين إلا أنه يترك لعدم ستحسانه من الناحية اللفظية أكثر.

ثالثا:وجود الحق ولواحق الوجود:

1. مشروع التفكير الجمالي بدى أبي حيان التوحيدي:

لتطور أي أمة من الأمم لابد من توفر مجموعة من المقومات منها: الحرية، الأمن، العلم...وما إلى ذلك من الأمور التي اهتم بها العرب اهتماما كبيرا، خاصة في العصر العباسي ولا عجب أن يلقب بالعصر الذهبي، وهذا راجع للدرجة العالية التي بلغها العلم والتي تحققت بفضل الترجمة، حيث اهتم علماؤنا بهذه الأخيرة «قدر اهتمامهم "بديوان الشعر" علم العرب الذي اختصه به ودارت حولهم جمودهم الفكرية والاجتماعية»[2] وفي هذا يظهر وعيهم التام بأهميتها فامتزاج حضاراتهم بالحضارات الأخرى، ولد تطور في جميع الميادين الثقافية العلمية الطبية...الخ.

«تبني الترجمة جسور بين الجماعات البشرية المختلفة، فتيسر التواصل والتفاعل بينها، سواء أكان هذا التفاعل اقتصاديا أو ثقافيا أو اجتماعيا، فالترجمة هي البوابة التي تعبر منها الذات إلى الآخر أو يقتحم الآخر الذات»[3]، ومنه نستنتج أن الترجمة تساهم بشكل كبير وفعال في تطور أي دولة، فهي عمود أساسي لابد منه لتنمية الفكر، وإخراجه من عالمه المألوف إلى عالم جديد، مفتاحه الوحيد هو

---

(1) المرجع نفسه، ص52.

(2) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي ، ص27.

(3) على القاسي، الترجمة وأدواتها، درسات في النظرية والتطبيق، مكتبة ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2009، ص13.

الإطلاع على الآخر وفهمه ومحاولة تقليده، بصورة عقلانية تفرز الإيجابيات من السلبيات، وتطبيقها للوصول إلى نتائج جيدة تدفع بالأمة للأمام.

يرى الكاتب في هذا الموضوع أنه على الرغم من الزخم الكبير للعلوم التي طرحتها الترجمة، بقية الحضارات العربية الإسلامية متمسكة بعراقتها، وعوض اضمحلالها نجدها تشبعت بجوهر المضامين الفكرية الوافدة من الحضارات الأخرى.

كما يقر بحقيقة لطالما استغلها البعض لتشويه الفكر العربي فيقول:«ليس عيبا على الثقافة العربية أن تأخذ من غيرها، مادامت متمسكة بأصالتها وضاربة في عمق شخصيتها الثقافية، وصفائها الفكري فمجال التأثر والتأثير واردين جميع الحضارات لفترة معينة على أن يستتب بها الأمر سرعان ما تخلق لنفسها نمط متميز يعبر عن أصالتها»[1]، فليس من الضروري على الحضارة المنفتحة على الآخر أن تمحو قيمها ومبادئها لكي تستفيد، بل يمكنها الدمج بين مجموعة من الثقافات بطريقة إيجابية فعالة.

2.أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء:

شهد العصر العباسي تطور كبير في جميع المجالات الفكرية والعلمية، ما سلط الضوء على عدد من العلماء، الذين ساهموا بشكل كبير في هذا التطور من بينهم "أبي حيان التوحيدي" الباحث الذي«كان بارعا في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه وعلم الكلام على رأي المعتزلة معجبا بالجاحظ وسلك في تصانيفه مسلكه.. تعته يقون الحموي ب"شيخ الصوفية وفيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة ومحقق الكلام ومتكلم المحققين وإمام البلغاء»[2] لقد خص عبد القادر فيدوح هذا الجانب من دراسته لتتبع ظاهرة الجمال عند هذا المفكر حيث يقول: «إن الحديث عن طبيعة الجمال عند أبي حيان التوحيدي، تحوطه بعض التحفظات وعلى رأسها تحديد مصطلح الجمال الذي لم يتبلور في الفكر العربي إلا في فترة متأخرة غير أن الممارسة في التعامل مع هذا الفن كانت بالفعل

(1) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص58.

(2) الإمتاع والمؤانسة، أبي حيان التوحيدي، ج1 المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2011، ص6.

قائمة في تصوير أبي حيان التوحيدي»[1]، أي أن الجمال لم يكن موجود كمصطلح، لكنه كان يمارس بالفعل، ما رسم له إرهاصات تعد أسس شكلت مفهوم الجمال الذي نعرفه اليوم.

«إن أبا حيان التوحيدي الذي بلغ الذروة في فهمه حركة الكون كما تداولتها ثقافة عصره، قد أقام نسقه الفلسفي على هذه المبادئ والتي يتحقق على أساسها شرف هذا العالم، ومشروعية بناء على ما عرف عنده بمقولته "وجود الحق الأول" وعلى هذا يتصور التوحيدي رؤية العالم في ضوء نظرية الأنساق الكلية، انطلاقا من مبدأ الذاتية التي تتعامل مع الوجود ضمن حركة التطلع لمعرفة الله تنذر بالخضوع للطبيعة المنتصرة، مركزا للانهيار والسقوط ولعل مرد ذلك في منظور أبي حيان، أنه لإجمال الإنسان بطبيعته بل بالتحقيق المطلق لحركته الدائبة التي ترغب في معرفة صفات الحق، على الآخر يتجرد من خلالها الإنسان بوصفه عالم أصغر أو لما كان كذلك فقد كان الكون عالم أكبر ومن استثمار مبادئ الكون والإنسان وتدارك نتائجها سعيا إلى تقويم صفتي الكمال والجمال يتم بوجودهما الاستدلال لوجود الحق بعد الارتفاع من عالم الأدلة، إلى جوهر المبدأ الأول الذي هو الفيض الإلهي»[2].

استوعب هذا المفكر حركة الكون على حسب ثقافته المتشعبة بعلوم مختلفة لحضارات مختلفة، فاستمد منها فلسفة خاصة تنطلق من مبدأ الذاتية بعيدا عن مظاهر الرذيلة المتمثلة بالخضوع للطبيعة، وهذه الأخيرة تنفي صفة الجمال من الإنسان، لكنه إن تجرد منها سيقوم الكمال والجمال داخله ليصل إلى الفيض الإلهي، أو بعبارة أخرى التنوع الثقافي ولد عند أبي حيان التوحيدي فلسفة خاصة، تتبلور حول كل ما هو روحي وتنفر من كل ما هو طبيعي مادي، لتحقق الجمال الغير موجود على سطح الأرض وإنما في الجانب الآخر لحياته.

يرى أبي حيان التوحيدي«أن الجمال الإلهي مصدر الجمال الكلي وهو الجمال المطلق الذي تنعكس منه جمالات الكائنات والأشياء» ومعنى هذا أن الأصل الأول للجمال هو الله كما يقسم إلى ثلاثة مستويات هي:

---

(1) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص61.

(2) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص62.

الحسن ⟵ درجة ثالثة

الجمال ⟵ درجة ثانية

البهاء ⟵ درجة أولى

يبحث هذا الباحث في كتابه (الهوامل والشوامل) على مصدر الجمال والحسن، وبمعنى أدق عن أصل للجمال في الكون وأصل الحسن «...لأنها هي سبب كل حسن وهي التي تفيض بالحسن على غيره، إذ كانت معدنه ومبدأه وإنما نالت الأشياء كلها حسن والجمال والبهاء منها وبها...»[1].

نعود إلى ناقدنا حيث شرح (الكمال) في نظر الفلاسفة المتصوفة، وأخذ أبا حيان التوحيدي كمثال حيث توصل إلي «أم الكمال في القيمة الجمالية لا يتحقق عبر عالم الأظلة إلا بالتحول من حال حسنة غلى أخرى أحسن»[2] أي أن الإنسان يروض نفسه بالعقل، ليحقق الأحسن دوما وبهذا يصل إلى الكمال، بعدها انتقل إلى موضوع آخر وهو (النفس) حيث اعتبرها وسيطة بين العقل والطبيعة.

«يقول التوحيدي: أما النفس الناطقة فإنها جوهر إلا هي وليست في الجسد على خاص ماله فيها، ولكنها مديرة للجسد ولم يكن الإنسان إنسانا بالروح بل بالنفس، ولو كان إنسانا بالروح لم يكن بينه وبين الحمار فرق بأن كان له روح ولكن لا نفس له فأما النفسان الأخريان اللتان هي الشهوية والعصبية فإنهما أشد اتصالا بالروح منهما بالنفس، وإن كانت النفس الناطقة تدبرهما وتمدهما وتأمرهما وتنهاهما...فليس كل ذي روح ذا نفس ولكن كل ذي نفس ذو روح»[3].

في الأخير نستنتج أن أبا حيان التوحيدي يقسم الإنسان إلى ثلاثة أنفس، الأولى هي النفس المرتبطة بالروح وبفضلها يمكن للإنسان أن يسموا من عالم الأظلة، غلى معرفة الفيض الإلهي وهي ما تميزه عن باقي المخلوقات، أما الثانية والثالثة فهما (الشهوية والغضبية) فهما يرتبطان بالجسد أكثر، وتعد النفس العامل الوحيد الذي يمكننا من التعريف بين الإنسان والحيوان.

(1) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص63.

(2) المرجع نفسه، ص66.

(3) حسين الصديق، طبيعة الجمال عند أبي حيات التوحيدي، مجلة الموقف الادبي سوريا ص213، نقلا عن عبد القادر فيدوح الجمالية في الفكر العربي ص68.

4.النزوع الجمالي والكشف الصوفي:

تخضع المجتمعات الإنسانية إلى تغيرات وتطورات مستمرة تشمل جميع النواحي، مما يدفع بها إلى النضج وهذا مالوظ على الصعيد الفكري والعلمي للعرب، خاصة في العصر العباسي الثالث الذي برزت فيه مجموعة من العلوم المستحدثة منها التصوف.

فلقد «عني القدماء والمستشرقون والمؤرخون على السواء بمصطلح التصوف وكل ما يتعلق بأصالته من الناحية الدينية، ولما استحقه من العناية والاهتمام في صلته بإسلام، على صعيدي الشكلي والمضمون فألفوا فيه الكتب ووضعوا فيه البحوث المطولة، كل هذا أثار حفيظة فئات من أهل السنة، ووقفوا من دونه موقف الريبة لإعتبار التسمية فقط بل بعتبار النتائج المعرفية التي تستنتج عنه إضافة للسلوكيات»[1] واذا ما تعرضنا لتعريف التصوف فإننا صنصطدم بآراء مختلفة، من بينها أو بعبارة أخرى أشملها ماجاء في كتاب "تاريخ آداب اللغو العربية" للكاتب "حرجي زيدان" حيث يقول:«قد أختلف علماء الإسلام في أصل كلمة التصوف أو الصوفية، فقال باشتقاقها من الصفاء أو الصفة وقال آخرون غير ذلك ويرى إبن خلدون أن اشتقاقها من الصوف أقرب إلى الصواب، لاختصاص أصحابه بالبس الصوف وعندنا أنها مشتقة من لفظة يونانية الأصل هي "صوفية" ومعناها الحكمة وهي بالعبرية "الفلسفة"...ومدار طريقهم كلها محاسبة النفس على الأفعال، ولهم آداب خاصة بهم واصطلاحات في الألفاظ تدور بينهم يدلون بها ما يريدونه من أساليب المجاهدة ومحاسبة النفس والكلام في الأذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترقي من ذوق إلى ذوق...»[2].

في ضوء هذه الحركة الكبيرة التي أثارها التصوف ومواضيعه الجديدة التي طرأت على الفكر الإسلامي، المزوجة بفلسفة يونانية دونت العديد من المؤلفات والآراء النقدية، وبما أن النضرة الصوفية تعتمد على الجانب الجمالي فكان لابد للكاتب أن يتطرق لها في دراسة بعنوان "النزوع الجمالي والكشف الصوفي".

1.رحلة الكشف:

---

(1) أيمن يوسف عودة، تأويل الشعر والفلسفة عند الصوفية، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2008، ص03.

(2) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج2، ص591، 592.

يرى الصوفية أن صورة الجمال الحسي المخلوق ما هي إلا صورة انعكاسية للجمال الإلهي المطلق، حيث ترجموا نظرتهم العقلية الحسية المدركة إلى نظرة مشاعرية فلسفية«وإذا كانت فلسفة الجمال تعني بالأشياء في ذاتها ومن حيث النظر إليها وفق منظور العلاقة الشكلية الناتجة عن الشغور بالانسجام، فإن الفكر الجمالي لدى الصوفية تعني بنظر المطلق المرتبط يفكر في الفناء ووحدة الوجود فالرؤية الصوفية تنظر إلى الأشياء بإطلاق متجاوزة بذلك فكرة التجديد»[1] ويوضح الكاتب من خلال هذا نقطة الاختلاف بين نظرة فلسفة الجمال الأشياء ونظرة الجمال للصوفية حيث الأولى تبنى على أساس الشعور بانسجام في حين الثانية على نظرة المطلقة الأشياء أي تتجاوز المظاهر الحسية.

أ. الحب غاية الغايات

اختص في هذا العنوان ذكر نقاط الاختلاف بين وجدان الإنسان العادي المليء بالغرائز والشهوات وهو يسعى دوما للاستمتاع بها واستهلاكها استهلاكا بهيميا، ووجدان الصوفي الذي تجاوز ذلك بالسمو من اللذة، من معناها الترابي إلى معناها السماوي وفي هذا التوضيح للحب الذي يكنه الصوفي لله سبحانه وتعالى فهو حب روحي أو بعبارة أخرى حب إلاهي«فمن المعقول أن ينشأ الحب الإلهي في الإسلام تطورا للحب العذري، والسماوي إن الحب الحسي يتجه إلى الخلق أما الحب الروحي فهويته ذات الحق وقد رأينا الغزل الحسي ثم الغزل الروحي ثم تطور إلى الحب الإلهي»[2]أي أن الحب الإلهي مولود من رحم الإسلام، وما هو إلا تطور لرحلة إيمانية صادقة توسعت في نطاق روحي مخطط، ويضيق الدكتور (مُحَّد عبد المنعم خفاجي) توضيحا حيث يقول:«فالحب الإلهي في رأي مصدره الإسلام نفسه، وسموا في الغزل العذري والتطور فيه وليس مستفاد في الإغريق ولا في الأفلاطونية الجديدة، التي كان رائدها أفلوطين الإسكندرية ووجود التشابه بين الحب الإلهي عند

(1) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص73.

(2) مُحَّد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، دار الغريب للطباعة والنشر، ص203، 204.

اليونان، والمدرسة الإسكندرية والصوفية المسلمين هو تشابه سطحي، محض وهو تشابه في العوارض والعموميات لا في الخصائص والجوهر»[1]. ومنه ندرك أنه يوجد حب لإلهي لدى مختلف الشعوب اليونانية، الهندية...الخ والإسلام عامة، والصوفية خاصة لكنه تشابه سطحي والحب الإلهي الصوفي بعد أصحها، وذلك راجع لوجود إرهاصات وبديات مع القول العذري، وأيضا خلوه من جميع الصور الوثنية.

ثم انتقل الكاتب للرؤية الفلسفية لأفلوطين حيث يقول:«بعض الناس يؤثرون الجمال في هذه الدنيا ويقفون في حد التأمل فيه، أما هؤلاء الذين يذكرون الجمال الأول دون أن يحقروا الجمال في الدنيا، فهم يعجبون بما يرون من جمال في هذه الحياة ولكنهم لا ينضرون إليه إلا على أنه صادر من جمال الخالد وأثر من آثاره وهؤلاء يحق لهم أن يحبوا الجمال دون أن يعتريهم قط خجل في حياتهم أما الأولون فقد يقع أحيانا في الشر وهم منشدون الخير»[2].

في هذا القول تقسيم للإنسان، إنسان يحب بالجمال ويحبه دون سواه، وإنسان آخر بنظر للجمال ولا يحتقره لإدراكه بأنه صورة منعكسة للجمال الحقيقي، ويراه أفلوطين أن جدير بحب الجمال لكونه يعرف حقيقته أو بتعبير آخر«الجمال الحق عند أفلاطون هو كائن في باطن الشئ لا في ظاهره وجل الناس إنما يشتاق إلى حسن الباطن فلذلك لا يطلبونه ولا يبحثون عنه»[3].

ينفي الصوفي نفسه ويرى فيها محبوبه أي أنه يتحد مع من يحب، وهو في ذلك ينطلق من أحاديث قدسية ونظريات فلسفية، كقوله تعالى:«فسق يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه»[4].

---

(1) المرجع نفسه، ص208، ص207.

(2) عنيمي هلال، الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، دار النهضة مصر، 1976، ص220، نقلا عن: عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص75.

(3) عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، مكتبة الإسكندرية، ط1، 1989، ص101.

(4) سورة المائدة الآية 54.

وأيضا قوله:«قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله»[1] ويظهر لنا من خلال سلوكيات وأفعال الإنسان الصوفي أنه يشتاق لمحبوبه (الله تعالى)، لدرجة كبيرة تدفعه بتعجيل لموته تقربا منه.

«إن الحب الحقيقي عند الصوفية هو الفناء في ذات الحق والفرار إليه، وهو ما تزخر به مشاعر الصوفية التي تجعل الحب بمثابة سر الوجود وعلته الأولى، قيم الحب والخير والجمال في عالم المرئي إنما هو فيض من الجمال الأزلي المطلق»[2] ومنه فإن كل ما يراه الإنسان من جمال أو حب في هذا الوجود ما هو إلا فيض من الوجود الحق، وبما أن هذا الجمال المطلق يأتي أن يبقى مختفيا فقد تجلى في الكون بصورة كل جميل وللوصول غلى هذه المرتبة من الحب لابد من صفاء النفس من كل الشوائب.

2.حقيقة الجمال ووحدة الوجود:

«تشكل المغامرة الصوفية في الإسلام الجوهر الأساسي الذي دفع التفكير الإسلامي إلى منطلق البحث المؤثر عن المطلق، ونموذج هذه المغامرة هو الصوفي الذي تقترب صورته الزمني الحالم في الخيال العام الذي يتعامل مع هذا النموذج، يفهم أنه يحيا خارج الذات وخارج حقائق العالم...أو بمعنى آخر أن الحياة بالنسبة للصوفي الحقيقي تغدوا حلما»[3].

يرى الصوفي أن الإنسان جوهر روحاني هو الجدير من بين كل المخلوقات أن يتميز بالنفس، وهذا لاكتسابه العقل وما إن يمتزج هذا الأخير أي "العقل" بالروح امتزاجا معنويا تتحقق المعرفة التي تسعى لها النفس فإن«الله يمثل الحقيقة والجمال المطلقتين، ليس له بداية أو نهاية أو حد معين والإنسان أسمى المخلوقات يتميز بالنفس وهو يمثل خليفة الله على الأرض، وهذه النفس لها وضيفة معرفية تسعى لمعرفة الكمال الحقيقي»[4].

ان صفة الألوهية والإنسان لا يرتبطان ببعضهما إرتباطا حتمي في الفكر الصوفي، وإنما هي قضية تنفيها الشريعة الإسلامية ويؤكد أبا حيان التوحيدي أن الله ليس كمثلة شئ لايمكن تصوره ماديا أو

---

(1) سورة آل عمران الآية 31

(2) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص78.

(3) أبو زيد البسطامي، المجموعة الصوفية الكاملة، تحقيق قاسم مُحَّد عباس، الهدى للنشر طبعة الأولى، 2004، ص11.

(4) ينظر: عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص62.

التشبة به حيث يقول: «فلما جل عن هذه الصفات بالتحقيق في الاختيار ووصف بها بالاستعارة على الاضطرار لأن لابد لنا أن تذكره ونصفه وندعوه ونعيده ونقصده ونرجوه ونخافه وتعرفه»[1]

وللتوضيح أكثر استخدم"عبد القادر فيدوح" المخطط التالي المعنون ب: "تحولات مراتب الحب"[2].

(1) ابا حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص134.

(2) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص84.

ب. الجمال جوهر الألوهية:

يعتبر الإنسان الصوفي الجمال وسيلة لإبراز حقيقة الوجود، متجاوز في نطرته هذه المدارك الحسية حيث يعتمد على رؤية الجمال بعين اليقين، وكما ذكر سابقا الجمال لايمثل سوى وسيلة يقترب بها المتصوف إلى الجمال الحقيقي، وفي هذا دليل على تأثر الصوفية بالفلسفة الأفلاطونية«من أجل ذلك تفانى المتصوفة في البحث عن سر الخليقة، باعتمادهم على الحديث القدسي سندا لهم كنت كنزا مخفيا فأحببن أن أعرف فخلفت الخق لكي أعرف»[1]، مع الإشارة إلى الشكوك الكثيرة المطروحة حول هذا الحديث.

(1) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص87.

بعد هذا قدم الكاتب مجموعة من الأبيات لإبن عربي يشرح فيها رؤية المتصوفة للحب الإلهي، حيث بعد هذا الأخير«أول واضع لمذهب وحدة الوجود في التصوف الإسلامي، وهو يقوم على دعائم ذوقية كما يؤمن إبن عربي في نضرته في الوجود بالفيض، أي بأن الله أبرز الأشياء من الوجود العلمي إلى الوجود العيني، ويفسر إبن عربي وجود الموجودات بالتجلي الإلهي الدائم، الذي لم يزل ولا يزال وظهور الحق في كل أن بما لا يحصى عدده من الصور» [1]ونبقى في نفس الفكرة مع توضيح أكثر فإن«الشعراء الصوفية قد اتخذوا من الجمال موضوع للحب الإلهي، في أي صورة ظهر لأن ذلك الجمال الذي يظهر على صورة إنما هو في الحقيقة تجلي للذات الإلهية، في تلك الصورة ولأن الجمال هو صفة من الصفات الذات الإلهية المطلقة»[2].

ومنه نتوصل إلى أن المذهب الصوفي يؤمن بأن أصل الموجودات التي ندركها بالحواس، ليست إلا انعكاس لوجود الله مع الحفاظ على فكرة أن كل ما هو جميل هو فيض من الجمال الإلهي.

كما قدم الكاتب مخططه توضيحي آخر«بغرض فهم حقيقة صفات الحق المجردة وإثبات تعاليه بعيدا عن كل تحديد أو تجسيد»[3] أي أن حقيقة الجمال عند الصوفية تكمن في اشتياقهم لرجوعهم لما كانوا عليه قبل الخلق ويرو الخلق بقلوبهم.

ج. الكمال كنه الكائن/ كمال الكمال:

الكمال صفة ينفرد بها الخالق، وهي بعيدة كل البعد عن المخلوق، وقد خصص ناقدنا هذا العنوان للحديث عن الكمال حيث يقول:«مر بنا أن الجمال عند الصوفية ليس هو الحقيقة المتحققة في الوجود بما هو غاية، بقدر ما هو واسطة لظهور الوجود بين ذات الحق وفعل الوجود الذي يعكس صورة التمام/ الكمال، وبيان ذلك أن نور الحق يكون قد خرج في جميع كما لانه إلى الوجود منبسط على كل ما هو موجود»[4] ثم انتقل لرؤية الكمال عبد إبن سبعين الذي عده كمال

---

(1) أحمد عبيدلي، مذكرة الخطاب الشعري الصوفي لمغربي في القرنين السادس والسابع الهجري، دراسة موضوعية فنية، تحت إشراف مُحَمَّد الخضر الزاوي، 2004-2005، جامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر، ص75.

(2) أحمد العبيدلي، مذكرة الخطاب الشعري الصوفي المغربي في القرنين السادس والسابع الهجري، ص142.

(3) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص88.

(4) مرجع نفسه، ص90.

مطلق وهو أصل الوجود، وأيضا عند الشيرازي والأمير عبد القادر حيث يرى الأول أن«وجوده تعالى كل الوجود لكونه صرف حقيقة الوجود، وجودا لجميع الموجودات "لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها"، فلا يخرج من كنه ذاته شئ من الأشياء لأنه تمام كل شئ ومبدؤه وغايته وإنما يتعدد ويتكاثر وينفصل لأجل نقصانها وإمكاناتها وتصوراتها عند درجة التمام والكمال فهو الأصل والحقيقة في الوجودية»[1]، ثم ينتقل الكاتب لرؤية أخرى فيقول:«ولعل الكمال هنا كما يصفه الأمير عبد القادر الجزائري أحد الصوفية المتأخرين، لا يعني المطابقة بيم وجود الحق ووجود الخلق، على الرغم من أن الإنسان له من حيثية وجوده الأولية والأخرية، تماما كما أن له ظهور والبطون، وهو إن كانت له هذه الصفات إلا أنها لا تطلق عليها إلا بالنسبة والإضافة ليظهر الغارق بين الحق والخلق»[2].

بعدها تحدث عن العلاقة بين صفتي الجمال والكمال وهي حسب ما شرح علاقة حتمية ضرورية، باعتبار أن الكمال هو سر للجمال ويمثل ماهيته ثم جاء بمجموعة من الأقوال للفرابي وابن سينا، لسان الدين بن الخطيب، السمرودي، ابن قضيب البان، ابو حامد الغزالي، ابن الدباغ، وجميعها أكدت أن سر الجمال وماهيته تكمن في الكمال وكلما زاد الكمال زاد الجمال.

بعد هذا أعطى رسمة توضيحية يبين فيها موقف ابن دباغ من الجمال في الفكر الصوفي.

(1) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص91.

(2) المرجع نفسه، ص92.

في الأخير صرح ناقدنا أن كل ما هو جميل في العالم العلوي أو السفلي مصدره الله، وبطبيعة الحال من يعطي الجمال لابد أن يكون أجمل، لذلك «أقر الصوفية الجمال في ذواتهم، وما كان منهم إلا أن استدلوا على المحبة الإلهية التي تكسبهم القدرة على كشف جمال الحق، عن طريق إدراك الوجود والترفع عنه إلى النظر في ذات الحق»[1] ومنه نستنتج أن النظرة الصوفية للجمال مصدرها نظرة روحية قلبية، تفر من كل ما هو موجود وسعى للوجود الحق المتمثل في الله سبحانه وتعالى، وترى فيه الكمال الذي تشتاق إليه.

(1) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص96.

تمهيد:

لإنتاج أي عمل أدبي يحمل رؤية جمالية لأبد من توفر مجموعة من الشروط، منها استعمال "الخيال" بصفته ملاذ الفنان وملجأه وبما أن دراستنا هذه دارت حول كتاب معنون ب:"الجمالية في الفكر العربي" وجدنا الكاتب تسلح بمجموعة من الحجج والبراهين، دافع بها عن القصيدة العربية القديمة تهمة، ضعف الخيال وجمود العواطف ولبست إلى أبيات متفرقة نعبر عن تصور سطحي.

قمنا بتحليل هذه الأدلة ومقارنتها لنثبت مدى تمتع الفنان العربي القديم "الشاعر الجاهلي" بصفة الخيال، ودرجة إنعكاسها في عمله وهذا تحت راية الدفاع عن القصيدة العربية كما أشرنا سابقا.

أولا: مقارنة الكتاب

الإنسان مخلوق ناقص والكمال "لله عز وجل"، فمهما كان عمله فهو يحمل الخطأ والصواب، وهذا ينطبق على العمل الأدبي فمهما كان الكاتب أو كتابه فيه ثغرات تدفع بالنقاد إلى إبرازها ومعالجتها كما يحمل آراء ومعلومات قيمة، وكل ذلك راجع إلى قدرة الناقد في التمحيص وعدم الغلو أو الاستثمار في تحديدها فالنقد لا نتيجة لعمليات عقلية تركيبية مبدؤها النظر الدقيق والتأمل العميق للناتج الأدبي[1]، أي أن العملية النقدية معقدة بعض الشئ تمتاج إلى جهد ووقت. من بين الكتاب الذين عالجوا نفس الموضوع ولكن من منظور مخالف ومغاير لناقدنا، هو الكاتب "أبو قاسم الشابي" في كتابه المعنون ب: "الخيال الشعري عند العرب" فهو برى «"أن الإنسان الأول (1) حينما كان يستعمل الخيال في جمله وتركيبه، لم يكن يفهم منه هذه المعاني الثانوية التي نفهمها منه نحن ونسميها "المجاز"، ولكنه كان يستعملها وهو على ثقة تامة لا يخالجها الريب، في أنه قد قال كلاما حقيقيا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو حينما يقول مثلا "ماتت الريح" أو "أقبل الليل"، لم يكن يعنى منه معنى مجازيا وإنما كان يعتقد أن الريح قد ماتت حقا، وأن الليل قد أقبل بألف قدم وبألف جناح»[2] ومنه تتضح لنا عقلية الإنسان الأول المؤمنة بكل ما هو أسطوري خرافي، وتجعل منه

(1) مُحَمَّد عنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة، الفجالة، القاهرة، مصر، 1997، ص09.

(2) أبو القاسم الشابي، الخيال الشعري عند العرب، الدار التونسية للنشر، د ط –د س، ص19.

مبدأ لابد منه في حياته أي أن الثاني ينفي صفة الخيال وهنا تناقض واضح بين ماجاء به وقاله ناقدنا «لقد كان وإلى وقت قريب في دراسات الأدب العربي القديم، فكرة خاطئة مؤيدها أن القصيدة العربية عبارة عن مجموعة أبيات مفردة، مجردة من الخيال خالية من أي مستوى فكري، لاشئ إلا أنها تمثل بدائية الإنسان العربي، في هذا العصر وأن هذا العربي ضعيف الخيال جامد العواطف، وحتى إذ تخيل وبدامنه شئ من التفكير، فلا يعدوا أن يكون ذلك إلا تصور سطحي نابع من عواطفه ومشاعره لاغير...»[1] وفي ذلك يعتمدون على بيئة التي يراها البعض أنها قاحلة لا تمت للحياة بصلة، سواء من الناحية الطبيعية فهي صحراء قاسية، وفي هذا يقول الشابي:«شب العرب تحت سماء ضاحية لا يحجبها سحاب مركوم، ولا يسترها ضباب كثيف وليس تحتها إلا الصحراء الأبدية الصامته، تضرب من مناكب سمائهم الفيض وأرواح الريح مروعة تائهة شاحبة كأرواح ضائعة في أباد الجحيم، فكان لهم في ملامح الصحراء الشاحبة ومن طبيعة الأرض القاحلة الجدوب. هذا النحو من الحياة الذي عاشوا عليه، هذا الذي لا يعرف رغد العيش ولا روح السلام»[2]، أي أن الإنسان إبن بيئته إذ ما كانت قاسية وجافة فلا بد له أن يكون قاسيا وجافا، ثم يضيف الشابي صعوبة وخشونة الطبع العربي فيقول:«ثم إن هذا الطبع الذي إنطبعت عليه الروح العربية وآدابها وأذواقها الروحية، ليس العرب به يدان بل إن ذلك كل ما يمكن أن ينتظر من أمة عاشت على ذلك النحو الخاص من المعيشة، وفي تلك القطعة الخاصة من الأرض، فقد نشاء العرب في رقعة من الأرض ساهمت واجهة لم تجر عليها الطبيعة رئيسة الفن، ولاضربت عليها سحر الجمال فظلت محرومة من ذلك الجمال الإلهي، الذي يغمر النفس بما يفيض عليها من سعادة الحسن ونشوة الشعور حتى كأنما حقت عليها نعمت الحياة الناقمة»[3] ومنه ندرك أن الكاتب ينفي الفن وسحر الجمال جملة وتفصيلا عن ما يقدمه قوم يعيشون على أرض أشبه للجحيم، ويحصر أعمالهم في مصطلح واحد وهو "البساطة" لا أكثر ولاأقل ويؤكد أنهم لم يتمتعو بطبيعة سياحية وادعة تسمح لهم بالإبداع، وتبقى الرؤية الجمالية للفكر العربي عند "أبو

(1) أبو قاسم الشابي، الخيال الشعري عند العرب، ص19.

(2) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص17.

(3) أبو القاسم الشابي، الخيال الشعري عند العرب، ص129.

قاسم الشابي" مجرد رؤية سطحية ليس لها أساس من العمق، ويرجع ذلك لعدم غوص العربي فيها واكتفاءه بالشكليات فقط وبهذا نعود إلى ناقدنا الذي يرى «أن الشاعر الجاهلي يتصل بالصورة الفنية المكتملة في خصائصها الجمالية بما في ذلك التصور المجازي المرتبط بمشاعره، وهو ما استنتجته مؤخرا درسات "علم الجمال" الذي يبحث في قيم الوجدان والمشاعر وما تثير فينا مظاهر الفنون من أحاسيس بمعايير الجمال فينا»[1] ويضيف أيضا«لقد كان العربي في عصر ماقبل الإسلام يدرك عالمه الحسي في مخيلته المترسمة من الظواهر الطبيعية القصرية بجفائها، فستبدل التعبير التصويري المجازي دون وعي منه بالمكون والتقني "الحضاري" وبذلك يفصل ممارسة السياغة التي لم يفلح في خلقها من مشارب التفكير معوضا إياها باللجوء إلى استخدام مبدأ إنتاج الشكل في مجازه النابع من فكرة الشئ العياني وتجسيده في قالب فني»[2] ثم يبرر ويقول: «عكست الكلمة الشعرية صورة الشئ المادي المترسمة في مخيلة الشاعر فاقتضى التطابق بين الكلمة والصورة» و«الصورة والرسم» إلى التعامل مع انسجام والإيقاع في الفن وهو ما يمكن التعبير عنه بمقياس الجمال في أثرهم الفني الذي عبر عنه النمو الداخلي للأجواء النفسية المرتبطة برهان حياتهم القاسية، فكانت وضيفة الفن عندهم تجسيد التحام الواقع بالذات الضائعة، التي تحمل في طياتها عبء الطبيعة في قساوتها[3] من الواضح أن الدكتور "عبد القادر فيدوح" يدرك بيئة الإنسان العربي الجاهلي وقوة تأثيرها فيه لكنه يبقى متمسك بصحة الرؤية الجمالية في فكره، معتمد على قدرته في التأقلم معها وتحويل معيقاته لصالح تجسيد الجمال في أعماله الفنية.

ثانيا: مفاهيم ضمن المقارنة

من مصطلح المادي المذكور سابقا انطلق الشابي في تقسيمه للشعر الجاهلي فيعتبر «الروح العربية خطابية مشتعلة لا تعرف الأناة في الفكر فضلا عن الاستغراق فيه، ومادية محضة لا تستطيع الإلمام بغير الظواهر مما يدعوا إلى إسترسال، مع الخيال إلى أبعد شوط وأقصى مدى من هاتين

(1) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص12.

(2) المرجع نفسه، ص12.

(3) المرجع نفسه، ص12.

النزعتين الخطابة والمادية اللتين ذهب بها في الحياة مذهب خاصا»[1] يعني بهذا أن الفكر العربي لم يتعمق لينقش بصمة خاصة به في التاريخ، وإنما كان جهده مجرد رسم على الرمال سرعان مايمحى عند هبوب الرياح.

يرى الدكتور "أبو قاسم الشابي" أن العرب حتى في رؤيتهم للدين كانت بسيطة لم يبذلو جهود لكشف الحقيقة، «فقد رأيتم أن آلهة العرب لم تخرج عن ذنيك النوعين الآنفين: تأليه الأموات أو تقليد الأمم الأخرى وأنها لهذا لم تكن مشتملة على فكر أو خيال، وأنها هي أصنام جامدة لا تصور لون من ألوان الحياة حتى أن عشرون وهي آلهة الحب والجمال عند الأشواريين التي كانوا يصنفونها بأنها: موقد شعلة الحياة وحارسة الشببة والتي كان الشباب والعذاري يرتلون أغاني الحب تحت قدميها لما عبدها العرب بإسم عنتر، لم يعبدو ذلك المعنى العميق الذي يصل الحب بالجمال وإنما عبدو فيها صنما لا يرمز إلى شئ ولم ينم عن فكر»[2] في حين يجد أن اليونانيون اتخذوا لها إسما آخر«هو "أفرديت" ونسجوا حول نشأتها أساطير شعرية لم يعرفها الأشواريون فكانوا يزعمون أنها خلقت من أمواج البحار واتخذوا إلها للحب سموه "إيروس" وزعموا أنه ابن "فروديت" وأن له جناحين ذهبيتين وأنه يحمل أبدا سهما حادة ومشاعل تلتهب»[3] وفي ذلك اختلافا كبير بينهم وبين العرب.

يولد الإنسان على فطرة الإسلام أي أنه يدرك في ذاته وجود الله سبحانه وتعالى، لكن في تلك الفترة البعيدة لم يكن يميز بين ماهو حقيقي وماهو أسطورة وخرافه، وتعلق العرب بالأصنام ليس غلا تحصيل حاصل لها مر به العقل البدائي أو بعبارة أخرى تفكير الإنسان الأول«فكان تفكيرهم بمعتقداتهم في عبادتهم لهذه الأصنام رمز لعبادة الله والتقرب إليه، بواسطتها بطرق مختلفة وعند فرق متعددة منها فرقة قالت:«ليس لنا الأهلية لعبادة الله تعالى بلا واسطة لعظمته فعبدناها لتقربنا إليه تعالى كما قال حكاية عنهم:"ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" وفرقة قالت الملائكة ذو جاه ومنزلة

(1) أبو قاسم الشابي، الخيال الشعري عند العرب، ص122.

(2) المرجع نفسه، ص36.

(3) المرجع نفسه، ص39.

عند الله فاخذوا لنا أصنام على هيئة الملائكة ليقربونا غلى الله»[1]فنستنتج أن عبادة الأصنام ليست إلا وسيلة للعبادة في نظرهم ولا تمت لأي صلة لإيماهم بألوهيتها، لكن سرعان ما يأخذ ناقدنا منحنى آخر في حديثه فيقول: «إبراهيم الخليل قد تعبد لثلاثة كواكب قبل أن يهتدي لدين التوحيد»[2] ويضيف:«الأجرام السماوية التي لفتت نظر الإنسان في تأثيرها فيه وفي كل ما يحيط به كان يرى فيها القوة السحرية في تفكيره، مما جعله يؤلهها ويعبدها وهي عبادة تبدوا منظورة على ما كان عليه الإنسان البدائي في تقديسه للأحجار والنبات»[3] ومنه نلاحظ بعض الإتفاق بين ما جاء به ناقدنا وما قاله الشابي، ولكن من زاوية مختلفة حيث يعتبر هذا الأخير أن الإنسان العربي الأول «أخذ يفسر تعابير الطبيعة الداوية بما يلي عليه الخيال المرح والشعور النشيط دون أن يعلق بوهمه قط أنه سادر في الخيال بعيدا عن جدل الحقيقة وإنما من الصواب، ومن هنا كانت بذور الأساطير الدينية الأولى تثمر في النفوس، وكانت المعتقدات الوثنية تتكون في أعماق القلوب تكون الحنين في بطن أمه فهذا هو منشأ الخيال في الفكر البشري القديم قبل أن تصقله الحضارة وتشد به المدينة»[4] ينطبق هذا القول على الإنسان بصفة عامة لا العربي فقط فكما ذكر سابقا هو في بحث مستمر في عالم الغيبيات، حيث يرجع كل ما هو مجهول إلى هذا العالم لكي يروي فضوله لكن ناقدنا كان له رؤية ثانية في هذا الموضوع«فاعتبر التجاء الإنسان القديم لهذه المعتقدات سواء السماوية أو الأسطورية ليس إلا شعوره بالحاجة في مواجهته لمشكلات تهدد كيانه وأمنه بصورة خاصة لأنه يرى في هذا وسيلة لإطمئنانه»[5] أي أن هذه العبادة ليست بدافع الخيال فقط وإنما هي حاجة ووسيلة لإطمأنانه ومنه فاختلاف القائم بين الكاتبين في هذه القضية هو بناء المعتقد الديني على أساس سطحي، متغير غير ثابت بعيدا عن إعمال الفكر والتعمق فيه أو على بحث قائم متطورة عبر الزمن بالتدرج ليصل إلى الحقيقة.

(1) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص21.

(2) المرجع نفسه، ص21.

(3) المرجع نفسه، ص21.

(4) أبو قاسم الشابي، الخيال الشعري عند العرب، ص22.

(5) ينظر: عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، ص23.

تحدث كذلك على إدراك الأمة العربية للجمال حيث يعتبره رمز من رموزها، جاء كنتيجة لتأملهم لمظاهر الكون التي بسطت جمالها في غرب شمس هادئ أو سهراتهم تحت ضوء القمر والنجوم، فيقولون في ذلك شعرا يترجم شعورهم «وبما أن الجمال أحد عناصر الحياة إن لم نقل هو الحياة نقسها، فإن الاهتمام به فاق تصوره له دون أن يدرك صفة لمعنى الجمال بحسب ما تتطلبه الظاهرة، إلى مصطلح فكري متكامل النظرة إلا أن هذا لا يمنع من احتمال وهو افتراض وارد على أن العرب قديما عرفوا مظاهر الجمال وهو ما نلمحه في صورهم التعبيرية التي وقعت بصمتها في نفوس البشرية لاحقا باختراقها الحدود الإقليمية ودخولها في فضاءات العوامل الإنسانية من حيث نابعة من مواطن إحساسات تحريتهم الحارة»[1] أي أنهم أدركوا الجمال وأعطو مرتبة مرموقة في نفوسهم وأعمالهم حيث عبروا عليه بمختلف الطرق وكأكثر الوسائل المستعملة هي "الوصف" التي إحتلت قصائدهم في شتى المواضيع.

أما الثاني فله قول آخر في ذلك حيث يقر بأن «الناس يتفاوتون في إدراك الجمال والشعور به على حسب قوة هذه العزيزة الشاعرة أو ضعفها فمنهم من تضعف فيه هته الغريزة ضعف بينا حتى توشك أن تموت، لأن نفسه قد استحوذت عليها غريزة أخرى شغلت كل مبها من فراغ ومنهم من تقوى فيه هذه الغريزة حتى تتمرد فتطغى على كل ما عداها من الغرائز البشرية المتطاحنة»[2] ثم شرح قوله هذا فيضيف«لأن النفس الإنسانية مضمار رحيب تتقارع فيه الغرائز وتتصارع فيه الميول والشهوات وبقوة هته الغريزة أو ضعفها يتفاوت الإحساس والشعور فينفجر الشعر الخالد من بعض الأفئدة البشرية على حين أن الآخر لا تشرح بغير الصديد وتتكشف بعض النفوس عن عبقريات جبارة عاصفة إلى حين أن البعض الآخر لا بلد غير الغباوة المستخذية النائمة»[3] وهي حقيقة ينفق عليها جميع الكتاب والمفكرين فالإختلاف موجود بين نفوس البشر كإختلاف الطبيعة والكائنات عامة لكن تبقى البعض منها سيطرة على جانب خاص.

(1) عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي ، ص28.

(2) أبو قاسم الشابي، الخيال الشعري عند العرب، ص21.

(3) المرجع نفسه، ص21.

يعود كاتبه "ابو القاسم الشابي" يذكرنا برأيه في الإنسان العربي القديم وإيداعه فيقول«ما أحسب أن من عاش بين مثل هذا الطبع الجموح وتلك الطبيعة العارية بمستغرق في الفكر أو متعمق في الشعور، وأن له يمثل ذلك والطبع العجول يجتثه ولا يدعه يتريث في الفكر أو عمل، والطبيعة الكاملة لا تدرك في نفسه المشاعر ولا تحيي دفائن الإحساس»[1] يؤكد لنا الكاتب في قوله هذا أن الإحساس ليس إلا نتيجة لتنبيه خارجي يدفع بالنفس إلى الغرق في الجمال فتلامس قاعة لتعود من جديد بنظرة ملونة.

وكخلاصة لنظرته هو قوله:«أن كل ما أنتجه الذهن العربي في مختلف عصوره قد كان على وتيرة واحدة ليس له من الخيال الشعري حظ ولا نصيب، وأن الروح السائدة في ذلك هي النظرة القصيرة الساذجة التي لا تنفذ إلى جوهر الأشياء وصميم الحقائق وإنما همها أن تنصرف إلى الشكل والوضع واللون والقالب أو ما هو إلى ظواهر الأشياء أدنى من دخائلها، فهي لا تتحدث عن الطبيعة إلا بألوانها وأشكالها ولا يهمها في المرأة إلا الجسد البادي، وهي في القصة لا تتعرف إلى طبائع الإنسان وآلام البشر وفي الأساطير لا تعبر عن فكر سامي وخيال فياض وإنما هي أوهام لائشة وأنصاب جامدة»[2] وبتالي تفكيره سطحي خال من إعمال العقل بعيد كل البعد عن الخيال.

(1) أبو قاسم الشابي، الخيال الشعري عند العرب ، ص21.

(2)المرجع نفسه ، ص121.

لابد لأي عمل فني أن يهدف للجمال بصفته نتيجة حتمية له، حتى ولوكان هذا العمل يحمل نقائص في نظر بعض النقاد، لكنه يبقى تحت راية الفن، والفن كما قلنا سابقا جزء لا يتجزء من الرؤية الجمالية، وهي قاعدة حاول الكاتب "عبد القادر" تطبيقها في الساحة الفكرية العربية حيث دافع على الرؤية العربية للجمال بصفة عامة، وعن القصيدة العربية القديمة بصفة خاصة تهمة جمود العواطف والخيال، كما تدحض فكرة أن الدين الإسلامي نهى عن التصوير، وبتالي بعد الفكر العربي عن كل ما هو جميل وحصره في دائرة الضعف والتصور السطحي وفي دفاعه هذا إعتمد على مجموعة من النقاط جاءت كنتائج لبحثنا وهي كتالي:

ـ إحتكاك العرب بغيرهم من الأمم الأخرى ولد لديهم مستوى فكري يزخر بمقومات مختلفة لنفاقات مختلفة شكلت لهم رؤية عكست ثراء فكرهم.

ـإدراك الإنسان العربي القديم الجمال الذي يحيط به على الرغم من بساطته وإعادة صياغته في عمل أدبي (شعر) وذلك عن طريق الوصف الذي ميز القصيدة العربية.

تضهر قدرة الشاعر العربي في تقويم وضبط قصائده وعكسها لنفسيته وشخصيته.

براعة الشاعر الجاهلي في إعادة رسم محيطه بتفاصيله الصغيرة منها والكبيرة داخل قصائد ما يؤكد إكتسابه رؤية جمالية خاصة.

ـ تمتع الشاعر بعواطف جياشة صادقة برهنة عليها جل قصائده.

ـ السبب وراء تحريم الدين الإسلامي للنحت والتصوير هو تخوف الفقهاء والقضاة من عودة عبادة الأوثان ورغم ذلك برزة أعمال فنية جد جميلة تمثله في الزخرفة والتصوير على النسيج وصفحات المخطوطات ومقابض السيوف...الخ.

ـ الإهتمام الكبير الذي أولاه العرب لجمالية القول التي ركزت على البلاغة بصفتها مقوم من مقومات الجمال.

ـ دور الترجمة في فتح أبواب التطور أمام الفكر العربي وذلك بإمتزاج الثقافات وهنا يظهر مدى قوة الثقافة العربية أو بعبارة أخرى الفكر العربي في الإستفادة من حضارات أخرى ما بقي متمسك ومحافظ على مقومات حضارته.

ـ ظهور علماء ومفكرين وعباقرة عرب أمثال أبا حيان التوحيدي ونضرته للجمال حيث مزج بين الفلسفة والرؤية الجمالية الإسلامية.

ـ دور التصوف البارز في إرساء معالم الجمال ونضرته الخاصة به.

ـ الإختلاف القائم بين رأي الدكتور عبد القادر فيدوح ورأي الدكتور أبو القاسم الشابي مبني على المحيط الصحراوي القاصي الذي وفق أمام إبداع الشاعر العربي.

مقدّمة

مدخل

الفصل الأول

دراسة فصول الكتاب

الفصل الثاني

نقد ومقارنة

1ـ مقارنة الكتاب

2ـ مفاهيم ضمن المقارنة

خاتمة

قائمة المصادر

والمراجع

فهرس الموضوعات

أولا: المصادر

1.القرآن الكريم برواية ورش

2.ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة، بيروت، لبنان، ط1، ج3.

3.الزمخشري، أساس البلاغة، معجم في اللغة العربية والبلاغة، مكتبة اللبنانية، ط1، 1996.

4.ابا حيان التوحيدي، الامتناع والمؤانسة، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ج1، 2011.

5.أبا حيان التوحيدي، الهوامل والشوامل، ت ح: أحمد أمين، أحمد صقر القاهرة، مصر، 1951.

6.أبو زيد البسطامي، المجموعة الصوفية الكاملة، ت ح: قاسم مُحَمَّد، عباس المدى للنشر، ط1، 2004.

7.حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، دار جيل، مؤسسة خليفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

ثانيا:المراجع:

1. أمين أحمد، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط10، 1969.
2. ابو القاسم الشابي، الخيال الشعري عند العرب، الدار التونسية للنشر، د ط، د س.
3. أيمن يوسف، عودة تأويل الشعر والفلسفة عند الصوفية، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، ط1، 2008.
4. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، د ط، دس.
5. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج2
6. حسين شعيب، العرب في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، ط1، 2004.
7. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبنانية، بيروت، ط1، 1985.
8. عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، مكتبة الإسكندرية، ط1، 1987.

9. عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، من منشورات إتحاد الكتاب العرب، مكتبة الأسد، دمشق، سوريا، 1999.

10. على القاسي، الترجمة وأدواتها دراسة في النظرية والتطبيقية مكتبة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

11. كمال بومنير، قضيا الجمالية أصولها القديمة إلى دلالتها المعاصرة، منتدى المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 2013.

12. مُحَمَّد غنيمي الهلال ، الحياة العاطفة بين الغذرية والصوفية، دار النهضة مصر، 1976

13. مُحَمَّد غنيمي الهلال، نقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة الفجالة، القاهرة، مصر، 1997.

14. مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، دار الغريب للطباعة والنشر.

15. مُحَمَّد مندور، في الأدب والنقد، نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة القاهرة، مصر.

16. مصطفى صادق الرافعي، تاريخ الأدب العربي القديم، دار جيل، مؤسسة خليفة للطباعة، بيروت، لبنان.

17. هالة محجوب خضرة، علم الجمال وقضياه، دار الوفاء، لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2006.

ثالثا:الرسائل والمخطوطات والمجلات:

1. احمد عبيدلي، مذكرة الخطاب الشعري الصوفي المغربي في القرنين السادس والسابع الهجري، دراسة موضوعية فنية، إشراف مُحَمَّد الأخضر الزاوي، 2004، 2005 جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.

2. حسين الصديق، طبيعة الجمال عند ابي حيان التوحيدي، مجلة الموقف الأدب سوريا.

العناوين	الصفحة
شكــر	
اهداء	
مقدمة	أ،ب
مدخل	2
الفصل الأول: دراسة فصول الكتاب	7
-البنية الذهنية للجمالية العربية	7
-أصل التفكير	7
-الجمالية المدركة	10
-جمالية اللاوعي	11
-بنية البيت	13
-تسمية البيت	13
-البحث العقلي في الجمالية	14
-الحس الجمالي	14
-جمالية القول	15
-وجود الحق ولواحق الوجود	17
-مشروع الجمال لدى أبي حيان التوحيدي	17
-أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء	18
-النزوع الجمالي والكشف الصوفي	21
-رحلة الكشف	22
-حقيقة الجمال ووحدة الوجود	24
-تحولات مراتب الحب	26

-الجمال جوهر الألوهية	27
-الكمال كنه الكائن/ كمال الكمال	28
الفصل الثاني: مقارنة النقد	37
مقارنة الكتاب	37
مفاهيم ضمن المقارنة	39
خاتمة	46
قائمة المصادر والمراجع	49
فهرس الموضوعات	52